الرد على الزنادقة والجهمية

فيما شكت من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله

تصنيف

الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني

اعتنى به

أبو عبد الله عادل بن عبد الله آل حمدان

٢٦٣/٢٤١٣ ـ قال أبو بكر الخلال رَحِمَهُ اللَّهُ:

أنبأنا الخضر بن المثنى الكندي، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: هذا ما أخرجه أبي رضي الله عنه في «الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكّت فيه من متشابه القرآن وتأوّلته على غير تأويله».

قال أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه وأثابه الجنة، وغفر لنا وله بمنّه وكرمه آمين:

الحمد لله الذي جعل في كلّ زمانٍ فترةً من الرسل، بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيلٍ لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍّ تائهٍ قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم.

ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المُبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم.

يتكلّمون بالمُتشابه من الكلام، ويخدعون جُهّال الناس بما يُشبّهون عليهم، فنعوذ بالله من فتنةِ المضلين.



١ ـ باب
بيان ما ضلَّت فيه الزنادقة من مُتشابه القرآن

١/٢٤١٤ ـ قال أحمد رَحِمَهُ اللهُ في قوله ﷻ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]:

قالت الزنادقة: فما بال جلودهم التي عصت قد احترقت، وأبدلهم الله جلودًا غيرها؟ فلا نرى إلَّا أن الله يُعذِّب جلودًا لم تُذنب حين يقول: ﴿بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾.

فشكُّوا في القرآن، وزعموا أنه مُتناقض.

فقلت لهم: إن قول الله ﷻ: ﴿بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]، ليس معناه: جلودًا غير جلودهم، وإنما معنى: ﴿بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ تبديلها: تجديدها؛ لأن جلودهم إذا نضجت، جدَّدها الله، وذلك لأن القرآن فيه خاصٌّ وعامٌّ، ووجوه كثيرة، وخواطر يعلمها العلماء.

* * *

٢ ـ وأما قول الله ﷻ: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات].

ثم قال في آيةٍ أُخرى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣١].

فقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المُحكم؟!

قال: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾، ثم قال في موضعٍ آخر: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر: ٣١].

فزعموا أن هذا الكلام ينقضُ بعضه بعضًا، فشكُّوا في القرآن.

أما تفسير ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ الآية: فهذا أول ما تبعث الخلائق على مقدار ستين سنة لا ينطقون، ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون، ثم يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون، فذلك قوله: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ الآية [السجدة: ١٢].

فإذا أذِنَ لهم في الكلام فتكلموا واختصموا فذلك قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾، عند الحساب وإعطاء المظالم.

ثم يُقال لهم بعد ذلك: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٨]؛ أي: عندي، ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾﴾؛ يعني: في الدنيا، فإن العذاب مع هذا القول كائن.

* * *

٣ ـ وأما قوله ﷻ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧].

وقال في آيةٍ أخرى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٥٠]، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤].

فقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المحكم؟

قال: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾.

ثم يقول في موضعٍ آخر: إنه ينادي بعضهم بعضًا.

فشكُّوا في القرآن من أجل ذلك.

أما تفسير: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾، ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾:

فإنهم أول ما يدخلون النار يُكلِّم بعضهم بعضًا، وينادون: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: ٧٧].

ويقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

و﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ [المؤمنون: ١٠٦].

فهم يتكلمون حتى يقال لهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ۝١٠٨﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

فصاروا عُميًا وبُكمًا وصُمًّا، وينقطع الكلام ويبقى الزفير والشهيق.

فهذا تفسير ما شكّت فيه الزنادقة من قول الله ﷻ.

* * *

٤ - وأما قول الله ﷻ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١﴾ [المؤمنون: ١٠١].

وقال في آيةٍ أخرى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٥٠﴾ [الصافات: ٥٠]

فقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المحكم؟

فشكُّوا في القرآن من أجل ذلك.

أما قوله ﷻ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١﴾.

فهذا عند النفخة الثانية، إذا قاموا من القبور، لا يتساءلون ولا ينطقون في ذلك الموطن.

فإذا حُوسبوا ودخلوا الجنة والنار؛ أقبل بعضهم على بعضٍ يتساءلون، فهذا تفسير ما شكّت فيه الزنادقة.

* * *

٥ - وأما قول الله ﷻ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣﴾ [المدثر].

وقال في آيةٍ أخرى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ [الماعون: ٤].

قالوا: إن الله قد ذمَّ قومًا كانوا يصلون، قال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾.

وقد قال في قومٍ: إنهم إنما دخلوا النار لأنهم لم يكونوا يصلون!

فشكُّوا في القرآن من أجل ذلك، وزعموا أنه مُتناقض.

قال: أما قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾، عنى بها المنافقين: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾، حتى يذهب الوقت، ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾، يقول: إذا رأوهم صلوا، وإذا لم يروهم لم يصلوا.

وأما قوله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣﴾.

يعني: الموحدين المؤمنين، فهذا ما شكَّت فيه الزنادقة.

* * *

٦ ـ وأما قوله ﷻ: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الروم: ٢٠].

ثم قال: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١﴾ [الصافات: ١١].

ثم قال: ﴿مِن سُلَالَةٍ﴾ [المؤمنون: ١٢].

ثم قال: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦﴾ [الحجر: ٢٦].

ثم قال: ﴿مِن صَلْصَالٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤﴾ [الرحمٰن: ١٤].

فشكُّوا في القرآن، وقالوا: هذا لا شكَّ أنه ينقض بعضه بعضًا.

فهذا بدءُ خلق آدم، خلقه الله أول بدئه من ترابٍ، ثم من طينة حمراء وسوداء وبيضاء، ومن طينة طيبة وسبخة، فلذلك ذريته طيبٌ وخبيث، أسود وأحمر وأبيض.

ثم بلَّ ذلك التراب فصار طينًا، فذلك قوله: ﴿مِّن طِينٍ﴾، فلما لصق الطين بعضه ببعضٍ فصار طينًا لازبًا، بمعنى: لاصقًا.

ثم قال: ﴿مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢﴾ [المؤمنون: ١٢].

يقول: مثل الطين إذا عصر انسلَّ من بين الأصابع، ثم نتن فصار حمأً مسنونًا، فخلق من الحمأ، فلما جفَّ صار صلصالًا كالفخار، يقول: صار له صلصلة كصلصلة الفخار، يقول: له دويٌّ كدوي الفخار.

فهذا بيان خلق آدم.

وأما قوله: ﴿مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨﴾ [السجدة: ٨].

فهذا بِدءُ خلق ذريته، (من سُلالة) يعني: النطفة إذا انسلت من الرجل، فذلك قوله: ﴿مِّن مَّآءٍ﴾؛ يعني: النطفة، ﴿مَّهِينٍ ۝٨﴾ يعني: ضعيف.

فهذا ما شكَّت فيه الزنادقة.

* * *

٧ ـ وأما قوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء: ٢٨].

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧﴾ [الرحمٰن: ١٧].

﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠﴾ [المعارج: ٤٠].

فشكُّوا في القرآن، وقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المحكم؟

أما قوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾، فهذا اليوم الذي يستوي فيه الليل والنهار، أقسم الله بمشرقه ومغربه.

وأما قوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ۝١٧﴾، فهذا أطول يوم في السَّنة، وأقصر يوم في السَّنة، أقسم الله بمشرقهما ومغربهما.

وأما قوله: ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠﴾، فهو مشارق السَّنة ومغاربها.

فهذا ما شكَّت فيه الزنادقة.

* * *

٨ ـ أما قول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧﴾ [الحج: ٤٧].

وقال في آيةٍ أُخرى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة: ٥]

وقال في آيةٍ أُخرى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾ [المعارج].

فقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المحكم؟! وهو ينقض بعضه بعضًا.

قال: أما قوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾، فهذا من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض، خلقها في ستة أيام كل يوم مقداره ألف سنة.

وأما قوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، وذلك أن جبرائيل كان ينزل إلى النبي ﷺ ويصعد إلى السماء في يومٍ كان مقداره ألف سنة، وذلك أنه من السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة سنة، فهبوطٌ خمسمائة عام، وصعودٌ خمسمائة عام، فذلك ألف سنة.

وأما قوله: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾، يقول: لو ولي حساب الخلائق غير الله، ما فرغ منه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ويفرغ الله منه على مقدار نصف يوم من أيام الدنيا إذا أخذ في حساب الخلائق، فذلك قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]؛ يعني: لسرعة الحساب.

* * *

٩ ـ وأما قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام].

فأنكروا: أن كانوا مشركين.

وقال في آيةٍ أخرى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء: ٤٢].

فشكُّوا في القرآن، وزعموا أنه متناقض.

أما قوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣]، وذلك أن أهل الشرك إذا رأوا ما يتجاوز الله عن أهل التوحيد يقول بعضهم لبعض:

إذا سألنا نقول: لم نكن مشركين، فلما جمعهم الله، وجمع أصنامهم، وقال: ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنعام: ٢٢].

قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنعام: ٢٣].

فلما كتموا الشرك؛ ختم الله على أفواههم، وأمر الجوارح، فنطقت بذلك، فذلك قوله: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥].

فأخبر الله ﷻ عن الجوارح حين شهدت، فهذا تفسير ما شكَّت فيه الزنادقة.

* * *

١٠ ـ أما قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥].

وقال: ﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾ [طه: ١٠٣].

وقال: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾ [طه: ١٠٤].

وقال: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢].

من أجل ذلك شكَّت الزنادقة.

أما قوله: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾، قالوا ذلك إذا خرجوا من قبورهم، فنظروا إلى ما كانوا يُكذِّبون به من أمر البعث، وقال بعضهم لبعض: إن لبثتم في القبور إلَّا عشر ليالٍ، ثم استكثروا العشر، فقالوا: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾ في القبور، ثم استكثروا اليوم، فقالوا: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾، ثم استكثروا القليل، فقالوا: إن لبثتم إلَّا ساعة من نهار.

فهذا تفسير ما شكَّت فيه الزنادقة.

* * *

١١ ـ وأما قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: ١٠٩].

وقال في آيةٍ أخرى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١٨].

فقالوا: كيف يكون هذا يقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾.

وأخبر عنهم أنهم يقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾.

فزعموا أن القرآن ينقض بعضه بعضًا.

أما قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩]، فإنه يسألهم عند زفرة جهنم، فيقول: ماذا أجبتم في التوحيد؟ فتذهب عقولهم عند زفرة جهنم، فيقولون: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ [المائدة: ١٠٩]، ثم ترجع لهم عقولهم من بعد، فيقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١٨].

فهذا تفسير ما شكّت فيه الزنادقة.

* * *

١٢ ـ وأما قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة].

وقال في آيةٍ أخرى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فقالوا: كيف يكون هذا؟!

يُخبر أنهم ينظرون إلى ربهم، وقال في آيةٍ أخرى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾.

فشكُّوا في القرآن، وزعموا أنه ينقض بعضه بعضًا.

أما قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾؛ يعني: الحُسن والبياض، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ يعني: تُعاينُ ربها في الجنة.

وأما قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ يعني: في الدنيا دون الآخرة.

وذلك أن اليهود قالوا لموسى: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [النساء: ١٥٣]، فماتوا وعوقبوا لقولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾.

وقد سألت مشركو العرب النبي ﷺ، فقالوا: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾﴾ [الإسراء: ٩٢].

فلما سألوا النبي ﷺ هذه المسألة؛ قال الله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ١٠٨]، حين قالوا: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ الآية.

فأنزل الله سبحانه يخبر أنه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؛ أي: أنه لا يراه أحدٌ في الدنيا دون الآخرة، فقال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾؛ يعني: في الدنيا، أما في الآخرة فإنهم يرونه.

فهذا تفسير ما شكّت فيه الزنادقة(١).

* * *

١٣ ـ وأما قول موسى: ﴿سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقال السحرة: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء: ٥١].

وقال النبي ﷺ: ﴿إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

فقالوا: فكيف قال موسى: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقد كان قبله إبراهيم مؤمنٌ، ويعقوب وإسحاق؟

فكيف جاز لموسى أن يقول: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾؟

وقالت السحرة: ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾.

---

(١) ولأهل السُّنَّة تفسير آخر سيأتي بيانه عند رقم (٣٤).

وكيف جاز للنبي ﷺ أن يقول: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾، وقد كان قبله مسلمون كثير، مثل عيسى ومن تبعه؟

فشكُّوا في القرآن، وقالوا: إنه متناقض.

أما قول موسى: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾، فإنه حين قال: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾، قال الله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾، ولا يراني أحد في الدنيا إلَّا مات.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، من قولي: ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾، ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾؛ يعني: أول المصدِّقين أنه لا يراك أحدٌ في الدنيا إلَّا مات.

وأما قول السحرة: ﴿أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾؛ يعني: أول المصدِّقين بموسى من أهل مصر من القبط.

وأما قول النبي ﷺ: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾؛ يعني: من أهل مكة.

فهذا تفسير ما شكَّت فيه الزنادقة.

* * *

١٤ ـ وأما قول الله ﷻ: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

وقال في آيةٍ أخرى: ﴿فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١٥].

وقال في آيةٍ أخرى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

فشكُّوا في القرآن، وقالوا: إنه يُنقض بعضه بعضًا.

أما قوله: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾؛ يعني: أشدَّ عذاب ذلك الباب الذي هم فيه.

وأما قوله: ﴿فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾، وذلك أن الله مسخهم خنازير، فعذَّبهم بالمسخ بما لم يُعذب به من سواهم من الناس.

وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾؛ لأن جهنم لها سبعة أبوابٍ: جهنم، ولظى، والحُطمة، وسقر، والسعير، والجحيم، والهاوية، وهم في أسفل درك فيها.

* * *

١٥ ـ وأما قول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾ [الغاشية: ٦].

ثم قال: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [الدخان]، فقد أخبر أن لهم طعامًا غير الضريع.

فشكُّوا في القرآن، وزعموا أنه مُتناقض.

أما قوله: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾، يقول: ليس لهم طعام في ذلك الباب ﴿إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾، ويأكلون الزقوم في غير ذلك الباب، فذلك قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾.

فهذا تفسير ما شكَّت فيه الزنادقة.

* * *

١٦ ـ وأما قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد: ١١].

ثم قال في آيةٍ أخرى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢].

فقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المُحكم؟! يُخبر أنه مولى من آمن، ثم قال: ﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد: ١١].

فشكُّوا في القرآن.

أما قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، يقول: ناصرُ الذين آمنوا،

و﴿وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾ يقول الله: لا ناصر لهم.

وأما قوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٦٢]؛ لأن في الدنيا أربابًا باطلة.

فهذا تفسير ما شكَّت فيه الزنادقة.

* * *

١٧ ـ وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة: ٤٢].

وقال في آيةٍ أخرى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن: ١٥].

فقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المُحكم؟

أما قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾؛ يعني: العادلون بالله، الذين يجعلون له عدلًا من خلقه فيعبدونه مع الله.

وأما قوله: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾﴾ [الحجرات: ٩].

يقول: اعدلوا فيما بينكم وبين الناس، إن الله يُحب الذين يعدلون.

وقال في آيةٍ أخرى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النمل: ٦٠]؛ يعني: يشركون. فهذا تفسير ما شكَّت فيه الزنادقة.

* * *

١٨ ـ وأما قوله: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال في آيةٍ أخرى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ [الأنفال: ٧٢].

فكان هذا عند من لا يعرف معناه ينقض بعضه بعضًا.

أما قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ﴾؛ يعني: من الميراث، وذلك أن الله ﷻ حكم على المؤمنين لما هاجروا إلى المدينة أن لا يتوارثوا إلَّا بالهجرة، فإن مات رجلٌ بالمدينة مهاجرٌ

مع النبي ﷺ، وله أولياء بمكة لم يهاجروا كانوا لا يتوارثون، وكذلك إن مات رجل بمكة وله وليٌّ مهاجر مع النبي ﷺ كان لا يرثه المهاجر؛ فذلك قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾، من الميراث ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ فلما كثر المهاجرون ردَّ الله الميراث على الأولياء هاجروا أو لم يهاجروا، فذلك قوله: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٦].

وأما قوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾؛ يعني: في الدين، والمؤمن يتولَّى المؤمن في دينه.

فهذا تفسير ما شكَّت فيه الزنادقة.

* * *

١٩ ـ وأما قوله جلَّ ثناؤه لإبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

وقال موسى حين قتل النفس: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَٰنِ﴾ [القصص: ١٥] فشكُّوا في القرآن، وزعموا أنه مُتناقض.

أما قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾، يقول: عباده الذين استخلصهم الله لدينه ليس لإبليس عليهم سلطان أن يُضلَّهم في دينهم أو في عبادة ربهم، ولكنه يُصيب منهم من قِبَلِ الذنوب، فأما في الشرك فلا يقدر إبليس أن يضلهم عن دينهم؛ لأن الله سبحانه استخلصهم لدينه.

وأما قول موسى: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَٰنِ﴾؛ يعني: من تزيين الشيطان، كما زيَّن ليوسف ولآدم وحواء، وهم عباد الرحمٰن المخلصون.

فهذا تفسير ما شكَّت فيه الزنادقة.

* * *

٢٠ ـ وأما قول الله للكفار: ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الجاثية: ٣٤].

وقال في آية أخرى: ﴿فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٥٢].

فشكُّوا في القرآن.

أما قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾، يقول: نترككم في النار ﴿كَمَا نَسِيتُمْ﴾، كما تركتم العمل للقاء يومكم هذا.

وأما قوله: ﴿فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طه: ٥٢]، يقول: لا يذهب من حفظه ولا ينساه.

* * *

٢١ ـ وأما قوله ﷻ: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [طه].

وقال في الآيةِ الأُخرى: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ٢٢].

فقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المُحكم؟ يقول: إنه أعمى، ويقول: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾، فشكُّوا في القرآن.

أما قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه]؛ يعني: عن حُجَّته، قال: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ﴾، عن حُجَّتي ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ لها مخاصمًا بها، فذلك قوله: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ﴾، يقول: الحجج، ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [القصص: ٦٦].

وأما قوله: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾، وذلك أن الكافر إذا خرج من قبره شخص بصره، ولا يطرف بصره حتى يعاين جميع ما كان يُكذِّب به من أمر البعث، فذلك قوله: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾، يقول: غطاء الآخرة، ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ يحد النظر، لا يطرِف حتى يعاين جميع ما كان يُكذِّب به من أمر البعث.

فهذا تفسير ما شكّت فيه الزنادقة.

* * *

٢٢ ـ وأما قوله لموسى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه: ٤٦].

وقال في آيةٍ أُخرى: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ۝١٥﴾ [الشعراء: ١٥].

وقالوا: كيف قال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ [طه: ٤٦].

وقال في آيةٍ أُخرى: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ۝١٥﴾ [الشعراء: ١٥].

فشكُّوا في القرآن من أجل ذلك.

أما قوله: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ فهذا في مجاز اللغة[1]، يقول الرجل

---

(١) قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٢٧٧) وهو يتكلم عن إطلاق لفظ المجاز: ولم ينطق بهذا أحد من السلف والأئمة، ولم يعرف لفظ المجاز في كلام أحد من الأئمة إلَّا في كلام الإمام أحمد، فإنه قال فيما كتبه من «الرد على الزنادقة والجهمية»: هذا من مجاز القرآن. وأول من قال ذلك مطلقًا أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه الذي صنفه في «مجاز القرآن»، ثم إن هذا كان معناه عند الأولين مما يجوز في اللغة ويسوغ، فهو مشتق عندهم من الجواز، كما يقول الفقهاء: عقد لازم وجائز، وكثير من المتأخرين جعله من الجواز الذي هو العبور من معنى الحقيقة إلى معنى المجاز، ثم إنه لا ريب أن المجاز قد يشيع ويشتهر حتى يصير حقيقة. اهـ.

وقال أيضًا (٧/ ٨٩): . . فإن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز إنما اشتهر في المائة الرابعة، وظهرت أوائله في المائة الثالثة، وما علمته موجودًا في المائة الثانية اللَّهُمَّ إلَّا أن يكون في أواخرها والذين أنكروا أن يكون أحمد وغيره نطقوا بهذا التقسيم، قالوا: إن معنى قول أحمد: من مجاز اللغة؛ أي: مما يجوز في اللغة أن يقول الواحد العظيم الذي له أعوان: نحن فعلنا كذا ونفعل كذا ونحو ذلك، قالوا: ولم يرد أحمد بذلك أن اللفظ استعمل في غير ما وضع له. اهـ.

وقد بيّنت في كتاب «الاحتجاج بالآثار السلفية على إثبات الصفات الإلٰهية» في (المبحث العاشر) (أهم أصول المُعطّلة التي بنوا عليها مذهبهم في تعطيل =

للرجل: إنا سنجري عليك رِزقًا، إنا سنفعل بك كذا خيرًا.

وأما قوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾، فهو في جائز اللغة، يقول الرجل الواحد للرجل: سأجري عليك رِزقك، أو سأفعل بك خيرًا.

* * *

٢٣ ـ قال الخلال:

أخبرني إبراهيم بن جعفر بن جابر، قال: ثنا محمد بن حبيب، قال: قال أحمد بن حنبل ـ: كتبتُ من العربية أكثر مما كتب أبو عَمرو الشيباني.

* * *

٢٤ ـ قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكان الجهم وشيعته كذلك، دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث، فضلوا وأضلوا بكلامهم بشرًا كثيرًا.

فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدوّ الله: أنه كان من أهل خراسان، من أهل الترمذ، وكان صاحب خصومات وكلام، وكان أكثر كلامه في الله تعالى، فلقي أناسًا من المشركين يقال لهم: السُّمنية، فعرفوا الجهم، فقالوا له: نكلمك، فإن ظهرت حُجَّتنا عليك دخلت في ديننا، وإن ظهرت حُجَّتك علينا دخلنا في دينك، فكان مما كلموا به الجهم أن قالوا له: ألست تزعم أن لك إلَهًا؟

قال الجهم: نعم.

فقالوا له: فهل رأيت إلٰهك؟

= الصِّفات)، فذكرت في الأصل الربع: (حمل نصوص الصِّفات على المجازِ)، وأن أهل البدع اتخذوا هذا الأصل ليعطلوا نصوص الصفات الواردة في الكتاب والسُّنَّة.

قال: لا.

قالوا: فهل سمعت كلامه؟

قال: لا.

قالوا: فشممت له رائحة؟

قال: لا.

قالوا: فوجدت له حسًّا؟

قال: لا.

قالوا: فوجدت له مجسًّا؟

قال: لا.

قالوا: فما يدريك أنه إله؟

قال: فتحيَّر الجهم فلم يدرِ من يُعبدَ أربعين يومًا.

ثم إنه استدرك حُجَّةً مثل حُجَّةِ زنادقة النصارى؛ وذلك أن زنادقة النصارى يزعمون أن الروح التي هي في عيسى ابن مريم عليه السلام هي روح الله من ذات الله، فإذا أراد أن يُحدِّث أمرًا دخل في بعض خلقه فتكلَّم على لسان خلقه، فيأمر بما يشاء وينهى عما يشاء، وهو روح غائب عن الأبصار.

فاستدرك الجهم حُجَّة مثل هذه الحُجَّة، فقال للسُّمني:

ألست تزعم أن فيك روحًا؟

قال: نعم.

فقال: فهل رأيت روحك؟

قال: لا.

قال: فهل سمعت كلامه؟

قال: لا.

قال: فوجدت له حسًّا أو مجسًّا؟

قال: لا.

قال: فكذلك الله لا يُرى له وجه، ولا يسمع له صوت، ولا يُشم له رائحة، وهو غائب عن الأبصار، ولا يكون في مكان دون مكان.

ووجد ثلاث آياتٍ في القرآن من المُتشابه(١):

قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣].

وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣].

فبنى أصل كلامه على هؤلاء الآيات، وتأوَّل القرآن على غير تأويله، وكذَّب بأحاديث رسول الله ﷺ، وزعم أن من وصف من الله شيئًا مما وصف به نفسه في كتابه، أو حدَّث عنه رسوله كان كافرًا، وكان من المُشبِّهة.

فأضلَّ بكلامه بشرًا كثيرًا، وتبعه على قوله رجالٌ من أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب عَمرو بن عُبيد بالبصرة، ووضع دين الجهمية(٢).

---

(١) 📖 **قال ابن تيمية** رَحِمَهُ اللهُ **في** «درء التعارض» (٥/ ١٧٥): وذكر أحمد أن الجهم اعتمد من القرآن على ثلاث آيات تشتبه معانيها على من لا يفهمها: آية نفي الإدراك لينفي بها الرؤية والمباينة، وآية نفي المثل لينفي بها الصفات ويجعل من أثبتها مشبهًا، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، لينفي بها علوه على العرش، أو ليثبت بها مع ذلك الحلول والاتحاد وعدم مباينته للمخلوقات. وهذه أصول الجهمية من المعتزلة أصحاب عَمرو بن عُبيد ومن دخل في بالتجهم أو الاعتزال أو بعض فروع ذلك، من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد.. إلخ.

(٢) 📖 **قال ابن تيمية** رَحِمَهُ اللهُ **في** «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ١١١): أصحاب عَمرو بن عبيد هم المعتزلة، فإن عمرًا هو الإمام الأول الذي ابتدع دين المعتزلة هو =

فإذا سألهم الناس عن قول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، وما تفسيره؟

يقولون: ليس كمثله شيء من الأشياء، وهو تحت الأرضين السبع، كما هو على العرش، لا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكانٍ دون مكان، ولم يتكلمْ، ولا يتكلمُ، ولا ينظر إليه أحدٌ في الدنيا، ولا ينظر إليه أحدٌ في الآخرة، ولا يوصف، ولا يُعرف بصفة، ولا بفعل، ولا له غاية، ولا له مُنتهى، ولا يدرك بعقل، وهو وجهٌ كله، وهو علمٌ كله، وهو سمعٌ كله، وهو بصرٌ كله، وهو نورٌ كله، وهو قدرةٌ كله، ولا يكون شيئين مختلفين، ولا يوصف بوصفين مختلفين، وليس له أعلى ولا أسفل، ولا نواحي ولا جوانب، ولا يمين ولا شمال، ولا هو ثقيلٌ ولا خفيف، ولا له لونٌ ولا له جسم، وليس هو بمعلوم ولا معقول، وكل ما خطر على قلبك أنه شيء تعرفه فهو على خلافه[1].

= وواصل بن عطاء، وأما الذين اتبعوه من أصحاب أبي حنيفة فهم من جنس الذين قاموا بأمر محنة المسلمين على دين الجهمية لما دَعُوا الناس إلى القول بخلق القرآن وغيره من أقوال الجهمية، وهم مثل بشر المريسي، وأحمد بن أبي دُواد قاضي القضاة وأمثالهم.اهـ.

(١) ◘ قال الدارمي رحمه الله في «النقض» (ص٤٣٩): قولنا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ أنه شيء أعظم الأشياء، وخالق الأشياء، وأحسن الأشياء، نور السمٰوات والأرض.

وقول الجهمية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، يعنون: أنه لا شيء؛ لأنهم لا يثبتون في الأصل شيئًا، فكيف المثل؟! وكذلك صفاته ليس عندهم شيء، والدلالة على دعواهم هذه الخرافات والمستحالات التي يحتجون بها في إبطالها، واتخذوا قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ دلسة على الجهال ليروجوا عليهم بها الضلال، كلمة حق يبتغى بها باطل، ولئن كان السفهاء في غلطٍ من مذاهبهم، إن الفقهاء منهم على يقين.اهـ.

◘ قال ابن القيم رحمه الله: وأما الرسل وأتباعهم فإنهم قالوا: إنه حي وله =

قال أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: فقلنا: فهو شيء؟

فقالوا: هو شيءٌ لا كالأشياء.

فقلنا: إن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل، أنه لا شيء.

فعند ذلك، تبيَّن للناس أنهم لا يُثبتون شيئًا؛ ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشُّنعة بما يقرون من العلانية.

فإذا قيل لهم: من تعبدون؟

قالوا: نعبد من يُدبِّر أمر هذا الخلق.

فقلنا: فهذا الذي يُدبِّر أمر هذا الخلق هو مجهولٌ لا يُعرف بصفة.

قالوا: نعم.

قلنا: قد عرف المسلمون أنكم لا تُثبتون شيئًا، وإنما تدفعون عن أنفسكم الشُّنعة بما تُظهرونه.

وقلنا لهم: هذا الذي يُدبِّر هو الذي كلَّم موسى.

قالوا: لم يتكلم، ولا يتكلم؛ لأن الكلام لا يكون إلَّا بجارحة، والجوارح عن الله منفية.

فإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشدِّ الناس تعظيمًا لله سبحانه، ولا يشعر أنهم إنما يعود قولهم إلى فرية في الله، ولا يعلم أنهم إنما يعود قولهم إلى ضلالة وكفر.

* * *

= حياة، وليس كمثله شيء في حياته، وهو قوي وله القوة، وليس كمثله شيء في قوته، وهو السميع البصير يسمع ويبصر، وليس كمثله شيء في سمعه وبصره، ومتكلم، وله يدان ومستو على عرشه، وليس له في هذه الصفات مثيل.

وقال: فعَكَسَ المعطلة المعنى فجعلوا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ جُنَّة يتترسون بها لنفي علوه سبحانه على عرشه، وتكليمه لرسله، وإثبات صفات كماله. اهـ.

[«مختصر الصواعق» (٢/٢٨٦ و٥٣٥)].

٢٥ ـ قال أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ:

فمما يُسألُ عنه الجهمي يقال له: تجد في كتاب الله آية تُخبر عن القرآن أنه مخلوق؟!

فلا يجد.

فيقال له: فتجده في سُنَّة رسول الله ﷺ أنه قال: إن القرآن مخلوق.

فلا يجد.

فيقال له: فلمَ قلتَ؟

فسيقول: من قول الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣].

وزعم أن: (جعل)، بمعنى: (خلق)، فكل مجعول هو مخلوق، فادَّعى كلمة من الكلام المتشابه يحتجُّ بها من أراد أن يُلحد في تنزيلها، ويبتغي الفتنة في تأويلها، وذلك أن: (جعل)، في القرآن من المخلوقين على وجهين:

أ ـ على معنى: التسمية.

ب ـ وعلى معنى: فعل من أفعالهم.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾ [الحجر: ٩١].

قالوا: هو شِعرٌ، وأنباء الأولين، وأضغاث أحلام، فهذا على معنى: التسمية.

وقال: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف: ١٩]؛ يعني: أنهم سموهم إناثًا.

ثم ذكر: (جعل) على غير معنى التسمية، فقال: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة: ١٩]، فهذا على معنى: فعل من أفعالهم.

وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ [الكهف: ٩٦]، هذا على معنى: فعل، هذا جعل المخلوقين.

ثم ذكر (جعل) من الله على معنى: خلق، و(جعل) على غير معنى خلق، والذي قال الله تعالى: (جعل) على غير معنى خلق، لا يكون إلَّا خلقًا، ولا يقوم إلَّا مقام خلق، لا يزول عنه المعنى.

فإذا قال تعالى: (جعل) على غير معنى خلق لا يكون خلقًا، ولا يقوم مقام خلق، ولا يزول عنه المعنى.

فمما قال الله ﷻ: (جعل) على معنى: (خلق):

قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]؛ يعني: وخلق الظلمات والنور.

وقال: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [النحل: ٧٨]، يقول: وخلق لكم السمع والأبصار.

وقال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسراء: ١٢]، يقول: وخلقنا الليل والنهار آيتين.

وقال: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: ١٦].

وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩].

يقول: وخلق منها زوجها، يقول: خلق من آدم حواء.

قال: ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ [النمل: ٦١].

يقول: وخلق لها رواسي.

ومثله في القرآن كثير.

فهذا وما كان على مثله لا يكون إلَّا على معنى: خلق.

ثم ذكر (جعل) على معنى غير (خلق)؛ قوله: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ﴾ [المائدة: ١٠٣]، لا يعني: ما خلق الله من بحيرة ولا سائبة.

وقال الله تعالى لإبراهيم: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤].

لا يعني: إني خالقك للناس إمامًا؛ لأن خلق إبراهيم كان متقدِّمًا.

وقال إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وقال إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ [إبراهيم: ٤٠]

لا يعني: اخلقني مقيم الصلاة.

وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [آل عمران: ١٧٦].

لا يعني: يريد الله أن لا يخلق لهم حظًّا في الآخرة.

وقال لأم موسى: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص: ٧].

لا يعني: خالقوه من المرسلين؛ لأن الله تعالى وعد أمَّ موسى أن يرده إليها، ثم يجعله من بعد ذلك مرسلًا.

وقال: ﴿وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ﴾ [الأنفال: ٣٧].

لا يعني: فيخلقه في جهنم.

قال: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ [القصص: ٥].

لا يعني: ونخلقهم أئمة، ونخلقهم الوارثين.

وقال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

لا يعني: خلقه دكًّا.

ومثله في القرآن كثير.

فهذا وما يكون على مثاله لا يكون على معنى: خلق.

فإذا قال الله: (جعل) على معنى خلق، وقال: (جعل) على غير معنى (خلق)، فبأيِّ حُجَّة قال الجهمي: جعل على معنى خلق؟!

فإن ردَّ الجهمي الجعل إلى المعنى الذي وضعه الله فيه، وإلَّا كان من الذين يسمعون كلام الله ثم يُحرِّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون.

فلما قال الله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣].

يقول: جعله عربيًا، جعله جعلًا على معنى فعل من أفعال الله تعالى على غير معنى خلق.

وقال في سورة الزخرف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾ [الزخرف: ٣].

وقال: ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٤، ١٩٥].

وقال: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مريم: ٩٧].

فلما جعل الله القرآن عربيًا، ويسَّره بلسان نبيه ﷺ، كان ذلك فعلًا من أفعال الله تبارك وتعالى جعل به القرآن عربيًا، وليس كما زعموا معناه: أنزلناه بلسان العرب، وقيل: بيَّناه؛ يعني: هذا بيان لمن أراد الله هداه.

* * *

٢٦ ـ ثم إن الجهمي ادَّعى أمرًا آخر، وهو من المحال.

فقال: أخبرونا عن القرآن: أهو الله تعالى، أو غير الله؟

فادَّعى في القرآن أمرًا يوهم الناس.

فإذا سُئل الجاهل عن القرآن: هو الله أو غير الله؟ فلا بُدَّ له من أن يقول بأحد القولين.

فإن قال: هو الله.

قال له الجهمي: كفرت.

وإن قال: هو غير الله.

قال: صدقت.

فلم لا يكون غير الله مخلوقًا؟

فيقع في نفس الجاهل من ذلك ما يميل به إلى قول الجهمي[١].

وهذه المسألة من الجهمي هي من المغاليط.

فالجواب للجهمي إذا سأل فقال: أخبرونا عن القرآن: هو الله، أو غير الله؟

قيل له: إن الله ـ جلَّ ثناؤه ـ لم يقل في القرآن: إن القرآن أنا، ولم يقل: غيري، وقال: هو كلامي، فسميناه باسم سمَّاه الله به.

فقلنا: هو كلام الله، فمن سمَّى القرآن بما سمَّاه الله به: كان من المهتدين، ومن سمَّاه باسمٍ غيره: كان من الضالين.

وقد فصل الله بين (قوله) وبين (خلقه)، ولم يسمِّه قولًا، فقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فلما قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾، لم يبقَ شيء مخلوق إلَّا كان داخلًا في ذلك، ثم ذكر ما ليس بخلق، فقال: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾، فأمره هو قوله تبارك الله رب العالمين أن يكون قوله خلقًا.

---

(١) ◼ قال ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٢٢٢): وقد تكلم الإمام أحمد في رده على الجهمية في جواب هذا وبيَّن أن لفظ: (الغير)؛ لم ينطق به الشرع لا نفيًا ولا إثباتًا، وحينئذ فلا يلزم أن يكون داخلًا لفظ (الغير) في كلام الشارع، ولا غير داخل، فلا يقوم دليل شرعي على أنه مخلوق.

وأيضًا فهو لفظ مجمل، يراد بالغير: ما هو منفصل عن الشيء، ويراد بالغير: ما ليس هو الشيء، فلهذا لا يطلق القول بأن كلام الله وعلم الله ونحو ذلك هو هو؛ لأن هذا باطل. ولا يطلق أنه غيره لئلا يفهم أنه بائن عنه منفصل عنه. وهذا الذي ذكره الإمام أحمد عليه الحذاق من أئمة السُّنَّة، فهؤلاء لا يطلقون أنه هو، ولا يطلقون أنه غيره، ولا يقولون: ليس هو هو، ولا غيره، فإن هذا أيضًا إثبات قسم ثالث، وهو خطأ، ففرقٌ بين ترك إطلاق اللفظين لما في ذلك من الإجمال، وبين نفي مسمى اللفظين مطلقًا، وإثبات معنى ثالث خارج عن مسمى اللفظين. اهـ.

وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان]، ثم قال في القرآن: هو أمر من عندنا.

وقال تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤].

يقول: لله القول من قبل الخلق، ومن بعد الخلق.

والله يخلق ويأمر، وقوله غير خلقه.

وقال: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق: ٥].

وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود: ٤٠].

يقول: قد جاء قولنا في أمر القرآن.



٢ ـ باب
بيان ما فصل الله بين (قوله) وبين (خلقه)

٢٧ ـ وذلك أن الله جلَّ ثناؤه:

أ ـ إذا سمَّى الشيء الواحد باسمين أو ثلاثة أسامٍ فهو مرسل غير مُنفصل.

ب ـ وإذا سمَّى شيئين مُختلفين لا يدعهما مرسلين حتى يفصل بينهما.

من ذلك:

قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ [يوسف: ٧٨].

فهذا شيء واحد سمَّاه بثلاثة أسامٍ، وهو مرسل، ولم يقل: إن له أبًا، وشيخًا، وكبيرًا.

وقال: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ﴾، ثم قال: ﴿ثَيِّبَٰتٍ﴾ [التحريم: ٥].

فهذا اسم شيء واحد فهو مرسل، فلما ذكر شيئين مختلفين فصل بينهما، فذلك قوله: ﴿ثَيِّبَٰتٍ﴾، ثم قال: ﴿وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾، فلما كانت البِكرُ غير الثيب لم يدعه مرسلًا حتى فصل بينهما، فذلك قوله: ﴿وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾.

وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾، ثم قال: ﴿وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾ [فاطر: ١٩]، فلما كان البصير غير الأعمى فصل بينهما.

ثم قال: ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾ [فاطر: ٢٠، ٢١].

فلما كان كل واحد من هذا الشيء غير الشيء الآخر فصل بينهما.

ثم قال: ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ ﴿ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣، ٢٤].

فهذا كله اسم شيء واحد، فهو مرسل ليس بمُنفصل.

وكذلك إذا قال الله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾، ثم قال: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾؛ لأن (الخلق) غير (الأمر)، فهو مُنفصل.



٣ ـ باب
بيان ما أبطل الله تبارك وتعالى أن يكون القرآن إلا وحيًا وليس بمخلوق

٢٨ ـ قال قوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم].

وذلك أن قريشًا قالوا: إن القرآن شِعر.

وقالوا: أساطير الأولين.

وقالوا: أضغاث أحلام.

وقالوا: تقوَّله محمد من تلقاء نفسه.

وقالوا: تعلَّمه من غيره.

فأقسم الله بالنجم إذا هوى؛ يعني: القرآن إذا نزل.

فقال: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾؛ يعني: محمدًا، ﴿وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾﴾، يقول: إن محمدًا لم يقل هذا القرآن من تلقاء نفسه، فقال: ﴿إِنْ هُوَ﴾؛ أي: ما هو؛ يعني: القرآن ﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾، فأبطل الله أن يكون القرآن شيئًا غير الوحي، لقوله: ﴿إِنْ هُوَ﴾، يقول: ما هو ﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾.

ثم قال: ﴿عَلَّمَهُ﴾؛ يعني: علَّم جبْريل محمدًا القرآن، وهو: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾﴾، إلى أن قال: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾، فسمى الله القرآن وحيًا، ولم يسمه خلقًا.

❑ ❑ ❑

٤ ـ باب

٢٩ ـ ثم إن الجهمي ادَّعى أمرًا آخر، فقال: أخبرونا عن القرآن: هو شيء؟

فقلنا: نعم هو شيء.

فقال: إن الله خلق كل شيءٍ، فلم لا يكون القرآن مع الأشياء المخلوقة، وقد أقررتم أنه شيء؟

فلعمري لقد ادَّعى أمرًا أمكنه فيه الدعوى، ولبَّس على الناس بما ادَّعى.

فقلنا: إن الله في القرآن لم يسمِّ كلامه: (شيئًا)، إنما سماه: (شيئًا الذي كان بقوله).

ألم تسمع إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل: ٤٠].

فـ(الشيء) ليس هو قوله، إنما (الشيء الذي كان بقوله).

وقال في آيةٍ أخرى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ [يس: ٨٢].

فـ(الشيء) ليس هو أمره، إنما (الشيء الذي كان بأمره).

ومن الأعلام والدلالات: أنه لا يعني كلامه مع الأشياء المخلوقة، قوله ﷻ في الريح التي أرسلها على عادٍ: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ﴾ [الذاريات: ٤٢]، وقال: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥].

وقد أتت تلك الريح على أشياء لم تدمِّرها: منازلهم، ومساكنهم، والجبال التي بحضرتهم، فأتت عليها تلك الريح ولم تُدمرها، وقد قال: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾.

فكذلك إذا قال: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: ١٦]، لا يعني: نفسه، ولا علمه، ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة.

وقال لملكة سبأ: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [النمل: ٢٣].

قد كان ملك سُليمان شيئًا ولم تؤته.

فكذلك إذا قال: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: ١٦]، لا يعني: كلامه مع الأشياء المخلوقة.

وقال الله لموسى: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١﴾ [طه: ٤١].

وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقال عيسى: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المائدة: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فقد عرف من عقل عن الله أنه لا يعني نفسه مع الأنفس التي تذوق الموت، وقد ذكر الله ﷻ كل نفس.

فكذلك إذا قال: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾، لا يعني: نفسه، ولا علمه، ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة.

ففي هذا دلالة وبيان لمن عقل عن الله تعالى.

قال الإمام أحمد:

فرَحِمَ الله من تفكَّر ورجع عن القول الذي يخالف الكتاب والسُّنَّة، ولم يقل على الله إلَّا الحق، فإن الله تعالى قد أخذ ميثاق خلقه فقال تعالى: ﴿أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

وقال في آيةٍ أُخرى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف: ٣٣].

فقد حرَّم الله أن يقال عليه الكذب، وقد قال: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠].

أعاذنا الله وإياكم من فتن المضلين.

وقد ذكر الله (كلامه) في غير موضعٍ من القرآن فسمَّاه: (كلامًا)، ولم يسمه: (خلقًا).

قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ [البقرة: ٣٧].

وقال: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وقال: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٥].

وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقال: ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فأخبر الله ﷻ أن النبي ﷺ كان يؤمن بالله وبكلمات الله، وقال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥].

وقال: ﴿لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩].

وقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

ولم يقل: حتى يسمع خلق الله.

فهذا منصوص بلسان عربي مُبين، لا يحتاج إلى تفسير، هو مبينٌ بحمد الله تعالى.

٥ ـ باب

٣٠ ـ قال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد سألتُ الجهمية: أليس إنما قال الله: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦]، ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، ﴿وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ﴿وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠﴾ [الأحزاب: ٧٠]، ﴿فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقال: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال: ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٤].

ولم نسمع الله يقول: قولوا: إن كلامي خلق.

وقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ﴾ [النساء: ١٧١].

وقال: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤].

وقال: ﴿لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا﴾ [البقرة: ١٠٤].

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾ [البقرة: ١٥٤].

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف].

﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣].

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [القصص: ٨٨].

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ [الأنعام: ١٥١].

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩].

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: ١٨].

ومثله في القرآن كثير.

فهذا ما نهى الله عنه في القرآن، ولم يقل لنا: لا تقولوا: إن القرآن كلامي.

وقد سَمَّت الملائكة كلام الله: (كلامًا)، ولم تسمِّه: (خلقًا)، قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٣].

وذلك أن الملائكة لم يسمعوا صوت الوحي ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم، وبينهما كذا وكذا سنة.

فلما أوحى الله إلى محمد ﷺ سمع الملائكة صوت الوحي كوقع الحديد على الصفا، فظنوا أنه أمرٌ من الساعة، ففزعوا وخرُّوا لوجوههم سجدًا، فذلك قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: ٢٣].

يقول: حتى إذا انجلى الفزع عن قلوبهم، رفع الملائكة رؤوسهم، فسأل بعضهم بعضًا فقالوا: ماذا (قال) ربكم؟ ولم يقولوا: ماذا (خلق) ربكم.

فهذا بيان لمن أراد الله هداه.



٦ ـ باب آخر

٣١ ـ قال أحمد ﷺ:

ثم إن الجهمي ادَّعى أمرًا آخر، فقال:

أنا أجد آيةً في كتاب الله تبارك وتعالى تدلُّ على أن القرآن مخلوق.

فقلنا: في أيِّ آية؟

فقال: قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢].

فزعم أن الله تعالى قال: إن القرآن مُحدث؛ وكل مُحدثٍ مخلوق.

فلعمري لقد شبَّه على الناس بهذا، وهي آية من المتشابه، فقلنا في ذلك قولًا، واستعنا بالله، ونظرنا في كتاب الله، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.

قال أحمد ﷺ:

اعلم أن الشيئين إذا اجتمعا في اسم يجمعهما فكان أحدهما أعلى من الآخر، ثم جرى عليهما اسم مدح، فكان أعلاهما أولى بالمدح وأغلب عليه، وإن جرى عليهما اسم ذمٍّ، أو اسم دنيء فأدناهما أولى به.

ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٦٥﴾ [الحج: ٦٥]، و﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦].

فإذا اجتمعوا في اسم الإنسان، واسم العباد، فالمعنيُّ في قول الله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦]؛ يعني: الأبرار دون الفجار، لقوله إذا انفرد الأبرار: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾ [الانفطار: ١٣].

وإذا انفرد الكفار: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤﴾ [الانفطار: ١٤].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٦٥﴾ [الحج: ٦٥]، فالمؤمن أولى به، وإن اجتمعا في اسم الناس؛ لأن المؤمن إذا انفرد أُعطي المدحة، لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾ [الحج: ٦٥].

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وإذا انفرد الكفار جرى عليهم اسم الذم في قوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨﴾ [هود: ١٨].

وقوله: ﴿أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ۝٨٠﴾ [المائدة: ٨٠]، فهؤلاء لا يدخلون في الرحمة.

وفي قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧].

فاجتمع الكفار والمؤمنون في اسم العباد، فالكفار أولى بالبغي من المؤمنين؛ لأن المؤمنين انفردوا ومدحوا فيما بسط الله لهم من الرزق، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة: ٣].

وقد بسط الله الرزق لداود وسليمان بن داود عليهما السلام، ولذي القرنين، وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ومن كان على مثالهم ممن بسط الله له فلم يبغِ.

وإذا انفرد اسم الكافر وقع عليه اسم البغي في قوله لقارون: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص: ٧٦].

ونمرود بن كنعان حين آتاه الله المُلك فحاجَّ في ربه.

وفرعون حين قال موسى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية [يونس: ٨٨].

فلما اجتمعوا في الاسم الواحد فجرى عليهم اسم البغي كان الكفار أولى به، كما أن المؤمن أولى بالمدحة.

فلما قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢].

فجمع بين ذكرين: (ذكر الله)، و(ذكر نبيِّه)، فأما ذكر الله إذا انفرد لم يجرِ عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وإذا انفرد ذكر النبي ﷺ فإنه جرى عليه اسم الحدث، ألم تسمع إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦].

فذكر النبي ﷺ له عمل، والله له خالق ومحدث، والدلالة على أنه جمع بين ذكرين هو قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢].

فأوقع عليه الحدث عند إتيانه إيانا، وأنت تعلم أنه لا يأتينا بالأنباء إلَّا مُبلِّغ ومُذكِّر، وقال الله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥].

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾﴾ [الأعلى: ٩].

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية: ٢١].

فلما اجتمعوا في اسم الذكر، جرى عليهم اسم الحدث، وكان النبي إذا انفرد وقع عليه اسم الخلق، وكان أولى بالحدث من ذكر الله الذي إذا انفرد لم يقع عليه اسم خلق ولا حدث.

فوجدنا دلالة من قول الله تبارك وتعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، إنما هو محدث إلى النبي ﷺ؛ لأن النبي ﷺ كان لا يعلم فعلَّمه الله تعالى، فلما علَّمه الله تعالى كان ذلك محدثًا إلى النبي ﷺ.

□ □ □

٧ ـ باب

٣٢ ـ ثم إن الجهمي ادَّعى أمرًا آخر، فقال:

أنا أجد آيةً في كتاب الله تدلُّ على أن القرآن مخلوق.

فقلنا: أيَّ آيةٍ؟

فقال: قول الله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١]، وعيسى مخلوق.

فقلنا له: إن الله منعك الفهم في القرآن، عيسى تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن؛ لأنه يجري عليه تسمية: مولود، وطفل، وصبيّ وغلام، يأكل ويشرب، وهو مُخاطب بالأمر والنهي، يجري عليه اسم الخطاب والوعد والوعيد.

ثم هو من ذُرِيَّة إبراهيم، فلا يحلُّ لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى، فهل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في عيسى؟!

ولكن المعنى في قول الله جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١].

فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له: (كن)، فكان عيسى: بـ(كن) وليس عيسى هو الكُنُّ، ولَكِنْ بالكُنِّ كان، فالكُنُّ من الله قول، وليس الكن مخلوقًا.

وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمرِ عيسى؛ وذلك أن الجهمية قالوا: عيسى روح الله وكلمته، إلَّا أن كلمته مخلوقة.

وقالت النصارى: عيسى روح الله من ذات الله، وكلمته من ذات الله، كما يقال: إن هذه الخرقة من هذا الثوب.

وقلنا نحن: إن عيسى بالكلمة كان، وليس عيسى هو الكلمة.

وأما قول الله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]، يقول: من أمره كان الروح فيه، كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، يقول: من أمره.

وتفسير (روح الله) إنما معناها: أنها روحٌ بكلمة الله خلقها الله، كما يقال: عبد الله، وسماء الله، وأرض الله(١).



(١) ◙ قال الدارمي رَحِمَهُ اللهُ في «نقضه على المريسي» (ص٣٠٢): ادعى هذا المعارض أيضًا مثله في قول الله تعالى لعيسى ابن مريم: (روح الله وكلمته)، فقال: يقول أهل الجرأة في معنى (كلمته)؛ أي: بكلمته، وإن سئلوا عن المخرج منه لم يقدروا عليه، وتأولوا على الله برأيهم.

فيقال لهذا المعارض: أو يحتاج في هذا إلى تفسير ومخرج؟!

قد عقل تفسيره عامة من آمن بالله: أنه إذا أراد شيئًا قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، وشيء لا يقول له: (كن)، لا يكون، فإذا قال: (كن) كان، فهذا المخرج من أنه كان بإرادته وبكلمته، لا أنه نفس الكلمة التي خرجت منه، ولكن بالكلمة كان، فالكلمة من الله (كن) غير مخلوقة، والكائن بها مخلوق.

وقول الله في عيسى: (روح الله وكلمته) فبين الروح والكلمة فرق في المعنى؛ لأن الروح الذي نفخ فيها مخلوق امتزج بخلقه، والكلمة من الله غير مخلوقة لم تمتزج بعيسى؛ ولكن كان بها وإن كره؛ لأنها من الله أمر، فعلى هذا التأويل قلنا، لا على ما ادعيت علينا من الكذب والأباطيل. اهـ.

٨ ـ باب

٣٣ ـ ثم إن الجهمي ادَّعى أمرًا آخر، فقال:

إن الله يقول: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [السجدة: ٤].

فزعم أن القرآن لا يخلو أن يكون في السمٰوات، أو في الأرض، أو فيما بينهما، فشبَّه على الناس، ولبَّس عليهم.

فقلنا لهم: أليس إنما أوقع الله ﷻ الخلق والمخلوق على ما في السمٰوات، وما في الأرض، وما بينهما؟

فقالوا: نعم.

فقلنا: هل فوق السمٰوات شيءٌ مخلوق؟

قالوا: نعم.

فقلنا: فإنه لم يجعل ما فوق السمٰوات من الأشياء المخلوقة، وقد عرف أهل العلم أن فوق السمٰوات السبع: الكرسي، والعرش، واللوح المحفوظ، والحجب، وأشياء كثيرة ولم يُسمِّها، ولم يجعلها مع الأشياء المخلوقة، وإنما وقع الخبر من الله على السمٰوات والأرض وما بينهما.

وقلنا فيما ادَّعوا: أن القرآن لا يخلو أن يكون في السمٰوات، أو في الأرض، أو فيما بينهما.

فقلنا: إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الروم: ٨].

فالذي خلق به السمٰوات والأرض، قد كان قبل خلق السمٰوات والأرض.

و(الحق) الذي خلق به السمٰوات والأرض هو (قوله)؛ لأن الله تعالى يقول (الحق)، قال: ﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾﴾ [ص: ٨٤].

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنعام: ٧٣].

فالحقُّ الذي خلق به السمٰوات والأرض قد كان قبل السمٰوات والأرض، والحق قوله، وليس قوله مخلوقًا.



٩ ـ باب
بيان ما جحدت به الجهمية من قول الله سبحانه
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]

٣٤ ـ **قال أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ:

فقلنا لهم: لم أنكرتم أن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم؟

قالوا: لا ينبغي لأحدٍ أن ينظر إلى الله؛ لأن المنظور إليه معلوم موصوف، لا يرى إلَّا شيء يفعله.

فقلنا: أليس الله يقول: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾؟

فقالوا: إنما معنى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، أنها تنتظر الثواب من ربها، وإنما ينظرون إلى فعله وقُدرته.

وتلوا آيةً من القرآن: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥].

فقالوا: إنه حين قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾، أنهم لم يروا ربهم؛ ولكن المعنى: ألم ترَ إلى فعل ربك؟

فقلنا لهم: إن فعل الله لم يزل العباد يرونه، وإنما قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

فقالوا: إنما تنتظر الثواب من ربها.

فقلنا لهم: إنها مع ما تنتظر الثواب من ربها هي ترى ربها[1].

---

(١) **قال ابن بطة** رَحِمَهُ اللَّهُ **في «الإبانة الكبرى»** (٢٦٢٣): وقال الجهمية: إنما معنى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٣]، إنما أراد بذلك: الانتظار.

فخالفت في هذا التأويل جميع لغات العرب، وما يعرفه الفُصحاء من كلامها؛ لأن القرآن إنما نزل بلسان العرب.. فليس يجوز عند أحدٍ ممن يعرف لُغات =

فقالوا: إن الله لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة.

وتلوا آيةً من المتشابه من قول الله جلَّ ثناؤه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣](١).

فقلنا: أخبرونا عن النبي ﷺ حين قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر»(٢)، أليس النبي ﷺ قد كان يعرف معنى قول الله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾.

= العرب وكلامها أن يكون معنى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ الانتظار!؛ ألا ترى أنّه لا يقول أحد: إنّي أنظر إليك؛ يعني: أنتظرك، وإنّما يقول: أنتظرك. فإذا دخل في الكلامِ (إلى) فليس يجوز أن يعني به غير النّظر. يقول: أنظر إليك.

وكذلك قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾، ولو أراد الانتظار لقال: (لربها مُنتظرة)، (ولربها ناظرة)، وذلك كُلّه واضح بيّن عند أهل العلم ممن وهب الله له علمًا في كتابة، وبصرًا في دينه... إلخ.

[وانظر: «الاحتجاج بالآثار السلفية على إثبات الصفات الإلهية» المبحث (١٢) (ص٣٨١)].

(١) قد أجاب أهل السُّنَّة عن احتجاج الجهمية المعطلة عن هذه الآية بجوابين:

١ ـ أن المراد بنفي الإدراك في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، يعني: في الدنيا، كما تقدم تفسير أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذا الآية عند رقم (١٢).

وممن قال به أبو العالية، ونُعيم بن حماد، وهشام بن عبيد الله، وابن عُلية رحمهم الله. «السُّنَّة» لعبد الله بن أحمد (٤٩٦)، واللالكائي (٨٩٠ و٩٢١ و٩٢٢).

٢ ـ أن المراد بنفي الإدراك في هذه الآية هو نفي الإحاطة.

قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الشريعة» (١٠٤٨/٢): قيل له: معناها عند أهل العلم: أي: لا تحيط به الأبصار، ولا تحويه ﷻ، وهم يرونه من غير إدراك، ولا يشكون في رؤيته، كما يقول الرجل: رأيت السَّماء، وهو صادق، ولم يحط بصره بكل السماء، ولم يدركها.. هكذا فسَّره العلماء. اهـ.

وانظر: «التوحيد» لابن خزيمة (٤٥٨/٢).

(٢) رواه أحمد (١٩٢٥١)، والبخاري (٥٥٤ و٧٤٣٤)، ومسلم (٦٣٣).

وقال: «إنكم سترون ربكم».

وقال لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ولم يقل: لن أرى.

فأيهما أولى أن نتبع: النبي ﷺ حين قال: «إنكم سترون ربكم».

أو قول الجهمي حين قال: لا ترون ربكم؟!

والأحاديث في أيدي أهل العلم عن النبي ﷺ أن أهل الجنة يرون ربهم؛ لا يختلف فيها أهل العلم.

ومن حديث سفيان، عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد رضي الله عنه في قول الله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: النظر إلى وجه الله(١).

ومن حديث ثابت البُناني، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن صُهيب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إذا استقرَّ أهل الجنة في الجنة، ونادى منادٍ: يا أهل الجنة، إن الله قد أذن لكم في الزيادة، قال: فيكشف الحجاب، فيتجلَّى لهم، فما أعطاهم شيئًا كان أحبَّ إليهم من النظر إليه»(٢).

قال الإمام أحمد رحمه الله:

وإنا لنرجو أن يكون الجهم وشيعته ممن لا ينظرون إلى ربهم، ويحجبون عن الله تعالى؛ لأن الله قال للكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين: ١٥]، فإذا كان الكافر يُحجب عن الله، والمؤمن يُحجب عن الله، فما فضل المؤمن على الكافر؟!

والحمد لله الذي لم يجعلنا مثل جهم وشيعته، وجعلنا ممن اتبع، ولم يجعلنا ممن ابتدع، والحمد لله وحده.



(١) رواه عبد الله بن أحمد في «السُّنَّة» (٤٥٥).

(٢) رواه أحمد (١٨٩٣٦)، ومسلم (٢٩٧).

١٠ ـ باب
بيان ما أنكرت الجهمية من أن يكون الله كلم موسى

٣٥ ـ قال أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فقلنا: لِمَ أنكرتم ذلك؟

فقالوا: إن الله لم يتكلم ولا يتكلم، إنما كوَّن شيئًا فعبَّر عن الله، وخلق صوتًا فأسمع، وزعموا أن الكلام لا يكون إلَّا من جوفٍ ولسان وشفتين.

فقلنا لهم: فهلْ يجوز لمكوِّنٍ أو غير الله أن يقول: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢﴾ [طه].

أو يقول: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤﴾ [طه]، فمن زعم ذلك فقد زعم أن غير الله ادَّعى الربوبية.

ولو كان ـ كما زعم الجهمي ـ أن الله كوَّن شيئًا كان يقول ذلك المكوَّن: يا موسى إني لست أنا الله ربُّ العالمين، ولا يجوز له أن يقول: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٠﴾ [القصص: ٣٠].

وقد قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ۝١٦٤﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]

وقال: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤].

فهذا منصوص القرآن.

فأما ما قالوا: إن الله لم يتكلم ولا يتكلم، فكيف يصنعون بحديث الأعمش، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم الطائي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال

النبي ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلَّا سيكلِّمُه الله ليس بينه وبينه تُرجمان»(١)؟

وأما قولهم: إن الكلام لا يكون إلَّا من جوفٍ، وفم، وشفتين، ولسان، أليس الله قال للسمٰوات والأرض: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١﴾ [فصلت: ١١].

تراها أنها قالت بجوفٍ، وفم، وشفتين، ولسان، وأدوات؟!

وقال: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ۝٧٩﴾ [الأنبياء: ٧٩].

أتراها أنها يُسبحن بجوفٍ، وفمٍ، ولسانٍ، وشفتين؟!

والجوارح إذ شهدت على الكفار، فقالوا: ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: ٢١].

أتراها أنها نطقت بجوفٍ، وفمٍ، ولسانٍ؟!

ولكن الله أنطقها كيف شاء.

وكذلك الله تكلم كيف شاء من غير أن يقول: بجوفٍ، ولا فمٍ، ولا شفتين، ولا لسان.

٣٦ ـ قال أحمد رضي الله عنه:

فلما خنقته الحُجج، قال: إن الله كلَّم موسى إلَّا أن كلامه غيره.

فقلنا: وغيره مخلوق؟

قال: نعم.

فقلنا: هذا مثل قولكم الأول، إلَّا أنكم تدفعون عن أنفسكم الشُّنعة بما تُظهرون.

وحديث الزهري، قال: لما سمع موسى كلام ربه، قال: يا رب، هذا الذي سمعته هو كلامك؟

---

(١) ورواه أحمد (١٨٢٤٦)، و(١٩٣٧٣)، والبخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (٢٣١١).

قال: نعم يا موسى هو كلامي، وإنما كلمتك بقوةِ عشرة آلاف لسان، ولي قوة الألسن كلها، وأنا أقوى من ذلك، وإنما كلمتك على قدر ما يطيق بدنك، ولو كلمتك بأكثر من ذلك لَمِتَّ.

قال: فلما رجع موسى إلى قومه قالوا له: صف لنا كلام ربك.

فقال: سبحان الله، وهل أستطيع أن أصفه لكم؟!

قالوا: فشبِّهه.

قال: هل سمعتم أصوات الصواعق التي تقبل في أحلا حلاوة سمعتموها، فكأنه مثله[1].

وقلنا للجهمية: من القائل لعيسى يوم القيامة: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

أليس الله هو القائل؟

قالوا: يُكوِّن الله شيئًا فيُعَبِّر عن الله، كما كوَّن شيئًا فعَبَّر لموسى.

فقلنا: فمن القائل: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف].

أليس الله هو الذي يسأل؟

قالوا: هذا كله إنما يُكوِّن شيئًا، فيعبِّر عن الله.

فقلنا: قد أعظمتم على الله الفرية حين زعمتم أنه لا يتكلم

(١) رواه نحوه حرب في «السُّنَّة» (٤١١) مرفوعًا من حديث جابر ﷺ ولا يصح.
وعبد الله بن أحمد في «السُّنَّة» (٥٢٦) من قول كعب الأحبار رحمه الله.

قال ابن تيمية رحمه الله **في** «التسعينية» (٢/ ٥٠١): فقوله: إنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان؛ أي: لغة، ولي قوة الألسن كلها؛ أي: اللغات كلها، وأنا أقوى من ذلك، فيه بيان أن الكلام يكون بقوة الله وقدرته، وأنه يقدر أن يتكلم بكلام أقوى من كلام، وهذا صريح في قول هؤلاء، كما هو صريح في أنه كلمه بصوت، وكان يمكنه أن يتكلم بأقوى من ذلك الصوت، وبدون ذلك الصوت. اهـ.

فشبهتموه بالأصنام التي تعبد من دون الله؛ لأن الأصنام لا تتكلم، ولا تنطق، ولا تتحرك، ولا تزول من مكان إلى مكان[1].

فلما ظهرت عليه الحُجَّة قال: إن الله تعالى قد يتكلم؛ ولكن كلامه مخلوق.

قلنا: وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق، فشبَّهتم الله حين زعمتم أن كلامه مخلوق، ففي مذهبكم أن الله قد كان في وقتٍ من الأوقات لا يتكلم حتى خلق التكلم، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق لهم كلامًا، فقد جمعتم بين كفر وتشبيه.

فتعالى الله عن هذه الصفة علوًّا كبيرًا.

بل نقول: إن الله لم يزل متكلمًا إذا شاء، ولا نقول: إنه قد كان ولا يتكلم حتى خلق كلامًا.

ولا نقول: إنه قد كان ولا يعلم حتى خلق عِلمًا فعَلِمَ.

ولا نقول: إنه قد كان ولا قُدرة له حتى خلق لنفسه قُدرة.

---

(١) لنا قال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الإبانة الكبرى» (٢٤٩٨): ويلزم الجهمي في قوله: (إن الله لم يتكلَّم ولا يتكلَّم)؛ أن يكون قد شَبَّه ربه بالأصنام المُتخذة من النحاس والرصاص والحِجارة.

فتدبَّروا رحمكم الله نفي الجهمي للكلام عن الله، إنما أراد أن يجعل ربه كهذه، فإن الله جَلَّ عيَّر قومًا عبدوا من دونه آلهةً لا تتكلم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٩٤﴾ [الأعراف: ١٩٤]. فزعم الجهمي أن ربه كذا إذا دُعي لا يُجيب.

وقال إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ حين عَيَّر قومه بعبادة ما لا ينطِق حين قال: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء]. فأيُّ خير عند من لا ينطِق، ولا ينفع، ولا يضرّ؟!

فإنما يدور الجهمي في كلامه واحتجاجه على إبطال صفات الله ليبطِل موضع الضرّ والنفع والمنع والعطاءِ، ويأبى الله إلَّا أن يُكذِّبه ويدحض حُجَّته.

فتفكَّروا رحمكم الله فيما اعتقدته الجهمية وقالته.. فإن من رزقه الله فهمًا وعلًا.. علم بحسن قريحته، ودقّة فطنته أن الجهمية تريد: (إبطال الربُوبية)، و(دفع الإلهية)

ولا نقول: إنه كان قد كان ولا نورٌ له حتى خلق لنفسه نورًا.

ولا نقول: إنه قد كان ولا عظمة له حتى خلقه لنفسه عظمة.

فقالت الجهمية لنا لما وصفنا الله بهذه الصفات: إن زعمتم أن الله ونوره، والله وقدرته، والله وعظمته، فقد قلتم بقول النصارى حين زعموا أن الله لم يزل ونوره، ولم يزل وقدرته.

فقلنا: لا نقول: إن الله لم يزل وقُدرته، ولم يزل ونوره؛ ولكن نقول: لم يزل بقُدرته وبنوره، لا متى قدَر، ولا كيف قدَر.

فقالوا: لا تكونون موحِّدين أبدًا حتى تقولوا: قد كان الله ولا شيء.

فقلنا: نحن نقول: قد كان الله ولا شيء؛ ولكن إذا قلنا: إن الله لم يزل بصفاته كلها، أليس إنما نصف إلَهًا واحدًا بجميع صفته؟

وضربنا لهم في ذلك مثلًا؛ فقلنا: أخبرونا عن هذه النخلة؟ أليس لها جذع، وكرب، وليف، وسعف، وخوص، وجَمّار؟ واسمها اسم شيء واحد، وسُمِّيت: نخلة بجميع صفاتها، فكذلك الله سبحانه تعالى ـ وله المثل الأعلى ـ بجميع صفاته إله واحد.

ولا نقول: إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا قُدرة له حتى خلق قدرة، والذي ليس له قدرة هو عاجز.

ولا نقول: قد كان في وقتٍ من الأوقات ولا علم له حتى خلق له علمًا فعلم، والذي لا يعلم هو جاهل.

ولكن نقول: لم يزل الله عالِمًا قادرًا مَالِكًا، لا متى؟ ولا كيف؟

وقد سمَّى الله رجلًا كافرًا اسمه: الوليد بن المغيرة المخزومي، فقال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾ [المدثر: ١١]، وقد كان هذا الذي سماه الله وحيدًا له عينان، وأذنان، ولسان وشفتان، ويدان ورجلان، وجوارح كثيرة، قد سَمَّاه الله وحيدًا بجميع صفاته.

فكذلك الله ـ وله المثل الأعلى ـ هو بجميع صفاته إله واحد.

❑ ❑ ❑

١١ ـ باب

بيان ما أنكرت الجهمية الضلال أن يكون الله على العرش(١)

٣٧ ـ فقلنا لهم: لِمَ أنكرتم أن يكون الله سبحانه على العرش، وقد قال سبحانه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

وقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ﴾ [الحديد: ٤].

---

(١) قال محمد بن يوسف القريابي رحمه الله: مَن قال: إن اللهَ ليس على عرشِه فهو كافِر، ومن زعمَ أن اللهَ لم يُكلِّم موسى فهو كافر. [«خلق أفعال العباد» (٦٧)].

ـ وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة رحمه الله في «العرش» (ص٢٧٦): ذكروا أن الجهمية يقولون: ليسَ بين الله وبينَ خلقه حِجابٌ، وأنكروا العرش، وأن يكون الله تعالى فوقهِ وفوق السمٰوات، وقالوا: إن الله في كلِّ مكان.. إلى أن قال: توافرت الأخبار أن الله تعالى خلقَ العرش فاستوى عليه بذاته، فهو فوق السمٰوات وفوق العرش بذاتِه، مُتخلِّصًا من خلقِه، بائنًا منهم، علمه في خلقه لا يخرجون من علمه. اهـ.

ـ وقال ابن تيمية رحمه الله في «بيان تلبيس الجهمية» (٣/ ٤٧٢): فإن نُفاةَ كونِه على العرشِ لا يُعرف منهم إلَّا من هو مأبونٌ في عقله ودِينه عند الأُمّة، **وإن كان قد تابَ مِن ذلك**؛ بل غالبهم، أو عامتهم حصلَ منهم نوع رِدّةٍ عن الإسلام!! وإن كان منهم مَن عادَ إلى الإسلام، كما ارتد عنه قديمًا شيخهم الأول **الجهم بن صفوان** وبقي أربعين يومًا شاكًّا في ربه لا يقرّ بوجودِه ولا يعبده، وهذه رِدَّة باتفاقِ المسلمين، **وكذلك ارتدَّ هذا الرَّازي** حين أمرَ بالشركِ وعبادةِ الكواكبِ والأصنام، وصنفَ في ذلك كتابه المشهور وله غير ذلك؛ بل مَن هو أجلّ منهم مِن هؤلاء بقي مُدة شاكًّا في ربه غيرَ مقرّ بوجودِه حتى آمن بذلك؛ **وهذا كثير غالب فيهم**، ولا ريبَ أن هذا أبعد العالمين عن العقل والدِّين. اهـ.

فقالوا: هو تحت الأرضين السابعة، كما هو على العرش، فهو على العرش، وفي السمٰوات، وفي الأرض، وفي كل مكان، ولا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكانٍ دون مكان، وتلو آيةً من القرآن: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣].

فقلنا: قد عرف المسلمون أماكن كثيرة وليس فيها من عِظَمِ الرب شيء.

فقالوا: أيُّ مكان؟

فقلنا: أحشاؤكم، وأجوافكم، وأجواف الخنازير، والحشوش، والأماكن القذرة ليس فيها من عِظَمِ الرب شيء[١].

---

(١) قال ابن تيمية رحمه الله في «بيان تلبيس الجهمية» (٥/ ٧٩): فهذا الذي ذكره الإمام أحمد مُتضمِّن إجماع المسلمين، ويتضمن أن ذلك من المعروف في فِطرتهم التي فُطروا عليها، وقوله: (من عِظَمِ الرَّبِّ) كلمةٌ سَديدَة، فإن اسمَه العظيم يدل على العِظَمِ الذي هو قدره كما بيناه في غير هذا الموضع، وذَكرَ الأحشاش والأجواف؛ لأن علم المسلمين بذلك ببديهة حسهم وعقلهم؛ ولأن في ذلك ما يجب تنزيه الرب عنه إذ كان من أعظم كفر النصارى دعواهم ذلك في واحد من البشر، فكيف من يدعيه في البشر كلهم، وكذلك ما ذكَرَه من أجواف الخنازير والحشوش والأماكن القذرة فإن هذا كما تقدم مما يعلم بالضرورة العقلية الفطرية أنه يجب تنزيه الرب وتقديسه أن يكون فيها أو ملاصقًا لها أو مماسًا، وتخصيص هذه الأجسام القذرة والأجواف بالذكر فيه اتباع لطريقة القرآن في الأمثال والأقيسة المستعملة في باب صفات الله سبحانه، فإن الإمام أحمد ونحوه من الأئمة هم في ذلك جارون على المنهج الذي جاء به الكتاب والسُّنَّة، وهو المنهج العقلي المستقيم، فيستعملون في هذا الباب قياس الأولى والأحرى، والتنبيه في باب النفي والإثبات، فما وجب إثباته للعباد من صفات المدح والحمد والكمال فالرَّبُّ أولى بذلك، وما وَجَبَ تنزيه العباد عنه من النقص والعيب والذم فالرب سبحانه أحق بتنزيهه وتقديسه عن العيوب والنقائص من الخلق، وبهذا جاء القرآن في مثل قوله: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الروم: ٢٨]، وفي مثل قوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ [الزخرف: ١٧]، وغير ذلك. إلخ

وقد أخبرنا أنه في السماء، فقال سبحانه: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٦، ١٧].

وقال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

وقال: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ﴾ [الأنبياء: ١٩].

وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

وقال: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٣].

وقال: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨].

وقال: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فهذا خبر الله، أخبرنا أنه في السماء، ووجدنا كل شيء أسفل مذمومًا، قال جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [فصلت: ٢٩].

وقلنا لهم: أليس تعلمون أن إبليس مكانه السفل، والشياطين كذلك مكانهم، فلم يكن الله ليجتمع هو وإبليس في مكان واحد.

وإنما معنى قول الله جلَّ ثناؤه: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣].

يقول: هو إله من في السموات، وإله من في الأرض، وهو على العرش، وقد أحاط علمه بما دون العرش، لا يخلو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكانٍ دون مكان.

فذلك قوله: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

قال: ومن الاعتبار في ذلك، لو أن رجلًا كان في يديه قدحٌ من قوارير صافٍ، وفيه شراب صافٍ، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح.

فالله سبحانه ـ وله المثل الأعلى ـ قد أحاط بجميع خلقه، من غير أن يكون في شيءٍ من خلقه.

وخصلة أُخرى:

لو أن رجلًا بنى دارًا بجميع مرافقها، ثم أغلق بابها وخرج منها، كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيت في داره، وكم سعة كل بيت من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار(١).

فالله سبحانه ـ وله المثل الأعلى ـ قد أحاط بجميع خلقه، وعلم كيف هو، وما هو من غير أن يكون في شيء مما خلق.



(١) 🕮 **قال ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ في «بيان تلبيس الجهمية» (٥/ ١١٠): وهذا أيضًا قياس عقلي من قياس الأولى، قررَّ به إمكان العلم بدون المخالطة، فذكر أن العبد إذا صنع مصنوعًا كدار بناها فإنه يعلم مقدارها وعدد بيوتها مع كونه ليس هو فيها لكونه هو بناها، فالله الذي خلق كل شيء أليس هو أحق بأن يعلم مخلوقاته ومقاديرها وصفاتها وإن لم يكن فيها محايثًا لها، وهذا من بين الأدلة العقلية، وهذان القياسان أحدهما: لإحاطته بخلقه إذ الخلق جميعًا في قبضته وهو محيط بهم وببصره، والثاني: لعلمه بهم؛ لأنه هو الخالق.اهـ.

١٢ ـ باب
بيان ما تأولت الجهمية من قول الله تعالى ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧](١)

٣٨ ـ قالوا: إن الله ﷻ معنا وفينا.

فقلنا: لم قطعتم الخبر من أوله، إن الله ﷻ يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، ثم قال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾؛ يعني: أن الله بعلمه رابعهم، ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ﴾؛ يعني: الله بعلمه، ﴿سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾؛ يعني: بعلمه فيهم، ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾، يفتح الخبر بعلمه، ويختم الخبر بعلمه.

ويقال للجهمي: إذا قال: إن الله إذا كان معنا بعظمة نفسه، فقل له: هل يغفر الله لكم فيما بينه وبين خلقه؟

فإن قال: نعم؛ فقد زعم أن الله بائنٌ من خلقه وأن خلقه دونه.

وإن قال: لا؛ كفر.

---

(١) في «الإبانة الكبرى» (٢٦٨٩) عن الضحاك: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾، قال: هو على العرش وعلمه معهم. قال أحمد [بن حنبل]: هذه السُّنَّة.

وفيه (٢٦٩٦) قال أبو طالب: سألت أبا عبد الله، عن رجل قال: إن الله معنا، وتلا هذه الآية: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

قال أبو عبد الله: قد تجهَّم هذا، يأخذون بآخر الآية، ويدعون أولها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ العلم معهم.

١٣ ـ باب

٣٩ ـ وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، فقل: أليس الله كان ولا شيء؟

فيقول: نعم.

فقل له: حين خلق الشيء خلقه في نفسه، أو خارجًا من نفسه؟

فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال، لا بُدَّ له من واحد منها.

أ ـ إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه؛ فقد كفر حين زعم أن الجن والإنس والشياطين في نفسه.

ب ـ وإن قال: خلقهم خارجًا من نفسه ثم دخل فيهم، كان هذا أيضًا كفرًا حين زعم أنه دخل في مكان وحُشٍّ قذرٍ رديء.

ج ـ وإن قال: خلقهم خارجًا من نفسه، ثم لم يدخل فيهم؛ رجع عن قوله كله أجمع، وهو قول أهل السُّنَّة.

□ □ □

١٤ ـ باب

٤٠ ـ **قال أحمد** رَحِمَهُ اللهُ:

إذا أردت أن تعلم أن الجهمي لا يقرُّ بعلم الله؛ فقل له:

إن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ﴾ [النساء: ١٦٦].

وقال: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ١٤].

وقال: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ﴾ [فصلت: ٤٧].

فيقال له: تقرُّ بعلم الله هذا الذي أوقفتك عليه بالأعلام والدلالات أم لا؟

فإن قال: ليس له علمٌ؛ فقد كفر.

وإن قال: لله علمٌ مُحدثٌ كفر أيضًا حين زعم أن الله قد كان في وقتٍ من الأوقات لا يعلم حتى أحدث له علمًا فعَلِم.

فإن قال: لله علمٌ وليس بمخلوقٍ ولا محدثٍ، رجع عن قوله كله، وقال بقول أهل السُّنَّة.

❑ ❑ ❑

١٥ ـ باب
بيان ما ذكر الله في القرآن: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾

٤١ ـ وهذا على وجوه:

قول الله تعالى لموسى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦].

يقول: في الدفع عنكما.

وقال: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

يقول: في الدفع عنا.

وقال: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩].

يقول: في النصر لهم على عدوهم.

وقوله: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

في النصر لكم على عدوكم.

﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٨].

يقول: بعلمه فيهم.

وقوله: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ [الشعراء].

يقول: في العون على فرعون.

٤٢ ـ فلما ظهرت الحُجّة على الجهمي بما ادَّعى على الله أنه مع خلقه، قال:

هو في كلِّ شيءٍ، غير مماسٍّ لشيءٍ، ولا مُباينٍ منه.

فقلنا: إذا كان غير مُباينٍ منه أليس هو مماسًّا؟

قال: لا.

قلنا: فكيف يكون في كلِّ شيءٍ غير مماسٍّ لشيءٍ ولا مباين؟

فلم يُحسن الجواب.

فقال: بلا كيف.

فخدع الجُهَّال بهذه الكلمة وموَّه عليهم.

فقلنا: أليس إذا كان يوم القيامة، أليس إنما هو الجنة والنار والعرش والهواء؟

قال: بلى.

فقلنا: فأين يكون ربنا تبارك وتعالى؟

قال: يكون في كل شيء، كما كان حين كان في الدنيا في كل شيء.

فقلنا: فإن في مذهبكم: إن ما كان من الله على العرش فهو على العرش، وما كان من الله في الجنة فهو في الجنة، وما كان من الله في النار فهو في النار، وما كان من الله في الهواء فهو في الهواء.

فعند ذلك تبيَّن كذبهم على الله جلَّ ثناؤه.

قال: زعمت الجهمية أن الله في القرآن إنما هو اسم مخلوق، فقلنا: قبل أن يخلق هذا الاسم، ما كان اسمه؟

قالوا: لم يكن له اسم.

فقلنا: وكذلك قبل أن يخلق العلم أكان جاهلًا لا يعلم حتى خلق لنفسه علمًا، وكان لا نور له حتى خلق لنفسه نورًا، وكان ولا قُدرة له حتى خلق لنفسه قدرة؟

فعلم الخبيث أن الله قد فضحه، وأبدى عورته للناس حين زعم أن الله جلَّ ثناؤه في القرآن إنما هو اسم مخلوق.

٤٣ ـ وقلنا للجهمي: لو أن رجلًا حلف بالله الذي لا إله إلَّا هو كاذبًا كان لا يحنث؛ لأنه حلف بشيءٍ مخلوق، ولم يحلف بالخالق، ففضحه الله في هذه.

وقلنا له: أليس النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والخلفاء ﭫ من بعدهم، والحكام والقضاة، إنما كانوا يُحلِّفون الناس بالله الذي لا إله إلَّا هو؟ فكانوا في مذهبهم مخطئين، إنما كان ينبغي للنبي ﷺ ولمن بعده في مذهبكم أن يُحلِّفوا الناس بالذي خلق اسم (الله)، وإذا أرادوا أن يقولوا: لا إله إلَّا الله، أن يقولون: لا إله إلَّا الذي خلق اسم الله، وإلَّا لم يصح توحيدهم، ففضحه الله ﷻ بما ادَّعى على الله الكذب.

ولكن نقول: إن (الله) هو (الله)، وليس (الله) باسم، إنما الأسماء كل شيء سوى (الله)؛ لأن الله يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولا أن يكون اسمٌ لاسمٍ.

ففي هذا بيان كفر الجهمية.

٤٤ ـ وقلنا لهم: وزعموا أن الله لم يتكلم، فبأيِّ شيءٍ خلق الله الخلق؟

أموجودٌ عن الله أنه خلق الخلق بقوله وبكلامه حين قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل: ٤٠].

قالوا: إنما معنى قوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ يكون.

قلنا لهم: فلِمَ أخفيتم: ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ﴾؟!

فقالوا: إنما معنى (كل شيء) في القرآن معانيه، (وقال الله)، مثل قول العرب: (قال الحائط)، و(قالت النخلة فسقطت)، والحائط والنخلة لا يقولان شيئًا؟

فقلنا: على هذا قِستم؟!

قالوا: نعم.

فقلنا: فبأيِّ شيء خلق الله الخلق إن كان الله في مذهبكم لم يتكلم؟

فقالوا: بقُدرته.

فقلنا: قُدرتُه هي شيء؟

فقالوا: نعم.

فقلنا: قُدرتُه مع الأشياء المخلوقة؟

قالوا: نعم.

فقلنا: كأنه خلق خلقًا بخلقٍ، وعارضتم القرآن وخالفتموه حين قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢]، فأخبرنا الله أنه يخلق.

وقال: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

فإنه ليس أحدٌ يخلق غيره تبارك وتعالى.

وزعمتم أنه خلق الخلق غيرُه.

فتعالى الله عما قالت الجهمية علوًّا كبيرًا.



١٦ ـ باب
ما ادعت الجهمية أن القرآن مخلوق من الأحاديث التي رويت

٤٥ ـ فقالوا: جاء الحديث: «إن القرآن يجيء في صورة الشابِّ الشاحب، فيأتي صاحبه فيقول: هل تعرفني؟

فيقول له: من أنت؟

فيقول: أنا القرآن الذي أظمأت نهارك وأسهرت ليلك.

قال: فيأتي به الله فيقول: يا رب..»[1].

فادَّعوا أن القرآن مخلوق من قِبَلِ هذه الأحاديث.

---

(١) رواه أحمد (٢٢٩٥٠)، وابن ماجه (٢٧٨١) نحوه من حديث عبد الله بن بريدة رضي الله عنه.

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (١/ ١٥٢) بعد أن ساق رواية أحمد من «مسنده»: وروى ابن ماجه من حديث بشير بن المهاجر بعضه، وهذا إسناد حسن على شرط مسلم، فإن بشيرًا هذا أخرج له مسلم، ووثقه ابن معين، وقال النسائي: ليس به بأس، إلَّا أن الإمام أحمد قال فيه: هو منكر الحديث، قد اعتبرت أحاديثه فإذا هي تجيء بالعجب. وقال البخاري: يخالف في بعض حديثه. وقال أبو حاتم الرازي: يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال ابن عدي: روى ما لا يتابع عليه. وقال الدارقطني: ليس بالقوي. قلت: ولكن لبعضه شواهد.. ثم ذكرها ابن كثير.

والحديث ضعفه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ١٤٣)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ١٨٢).

فقلنا لهم: القرآن لا يجيء بمعنى: أنه قد جاء من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾، فله أجر كذا وكذا.

ألا ترون أن من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾، لا يجيئه إلَّا بثوابه؛ لأنا نقرأ القرآن ويجيء ثواب القرآن فيقول: يا رب.. لأن كلام الله لا يجيء، ولا يتغيَّر من حال إلى حال.

وإنما معنى: (أن القرآن يجيءُ): إنما يجيء ثواب القرآن، فيقول: يا رب.



١٧ ـ باب
ما تأولت الجهمية من قول الله تعالى
﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]

٤٦ ـ فزعموا أن الله هو الأول قبل الخلق؛ فصدقوا.

وقالوا: يكون الآخر بعد الخلق، فلا تبقى سماء، ولا أرضٌ، ولا جنة، ولا نار، ولا ثواب، ولا عِقاب، ولا عرش، ولا كُرسي.

وزعموا أن شيئًا مع الله لا يكون هو الآخر كما كان.

فأضلوا بهذا بشرًا كثيرًا.

فقلنا: أخبرنا الله عن الجنة ودوام أهلها فيها، فقال ﷻ: ﴿لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۝٢١﴾ [التوبة].

وقال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧].

وقال: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥].

فإذا قال الله: ﴿دَآئِمٌ﴾؛ أي: لا ينقطع أبدًا.

وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝٤٨﴾ [الحجر]..

وقال: ﴿وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ۝٣٩﴾ [غافر].

وقال: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝٦٤﴾ [العنكبوت].

وقال: ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣﴾ [الكهف].

وقال: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١٠٧﴾ [آل عمران].

وقال: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة].

ومثله في القرآن كثير.

ثم ذكر أهل النار، فقال: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦].

وقال: ﴿أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي﴾ [العنكبوت: ٢٣].

وقال: ﴿لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ [الأعراف: ٤٩].

وقال: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزُّخرُف].

وقال: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [إبراهيم].

وقال: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البيّنة].

وقال: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦].

وقال: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢].

وقال: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾﴾ [الهُمَزة].

ومثلُه في القرآن كثير.

فأما السماء والأرض فقد زالتا؛ لأن أهلها صاروا إلى الجنة، أو إلى والنار.

وأما العرش فلا يبيدُ، ولا يذهب؛ لأنه سقفُ الجنة، والله ﷻ عليه فلا يهلَكُ ولا يبيد.

وأما قوله ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، وذلك أن الله أنزل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمٰن].

قالت الملائكة: هلك أهل الأرض، فطمِعوا في البقاء، فأنزل الله مخبرًا عن أهل السمٰوات وأهل الأرض أنهم يموتون، فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾؛ يعني: من الحيوان، ﴿هَالِكٌ﴾؛ يعني: ميت، ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾، أنه حيٌّ لا يموت، فأيقنوا عند ذلك بالموت.

٤٧ ـ وقلنا للجهمية حين زعموا أن الله في كل مكان لا يخلو منه

مكان دون مكان، فقلنا لهم: أخبرونا عن قول الله جلَّ ثناؤه: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، لِمَ تجلَّى للجبل إن كان فيه بزعمهم؟!

فلو كان فيه ـ كما تزعمون ـ لم يكن يتجلَّى لشيء هو فيه؛ ولكن الله جلَّ ثناؤه على العرش، وتجلَّى لشيءٍ لم يكن فيه، ورأى الجبلُ شيئًا لم يكن رآه قطُّ قبل ذلك.

٤٨ ـ وقلنا للجهمية: الله نور؟

فقالوا: هو نور كله.

فقلنا: فالله قال: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

فقد أخبر الله ـ جلَّ ثناؤه ـ أن له نورًا.

وقلنا لهم: أخبرونا حين زعمتم أن الله تعالى في كل مكان، وهو نور، فلِمَ لا يُضيء البيتُ المظلم من النور الذي هو فيه إذ زعمتم أن الله في كل مكان؟

وما بال السِّراج إن أدخل البيت المظلم يُضيء؟!

فعند ذلك تبيَّن للناس كذِبهم على الله تعالى.

فرَحِمَ الله من عقل عن الله، ورجع عن القول الذي يُخالف الكتاب والسُّنَّة، وقال بقول العلماء، وهو قول المهاجرين والأنصار، وترك دين الشيطان، ودين جهم وشيعته.

والحمد لله ربّ العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلَّم تسليمًا

آخر الكتاب

□ □ □

الفهرس كتاب الرد على الجهمية